

4 / حلقة براغ1

(تروبوتسكوي)





03/ حلقة براغ 1 (تروبتسكوي¹)

تمهيد:

برزت حلقة براغ للوجود سنة 1926م ويرجع فضل تأسيسها إلى كل من ويليام ماتيسوس V. Mathesius، ونيكولاي تروبتسكوي N. Troubetzkoy ورومان باكيسون R. Jaksbson، وكارفسكي Karvetsky، وآخرون.

اتفق رواد حلقة براغ الألسنية على جملة من المبادئ المهمة، وتقدموا بها إلى المؤتمر الدولي الأول لعلماء اللغة الذي عُقد في "لاهاي" سنة 1928م بعنوان "النصوص الأساسية لحلقة براغ"²، وفي مؤتمر فقهاء اللغة السلافيين قدموا الجزء الأول من الدراسة الجماعية ضمت تسعة بحوث لسانية كانت في حقيقة الأمر مجهودًا جماعيًا³.

وفي عام 1930م ظهرت أول دراسة منهجية في تاريخ الأصوات اللغوية، وقد أعدها جاكسون، ثم بدأ رواد هذه الحلقة يظهرون في جلّ المؤتمرات المتعلقة باللغة، كالمؤتمر الذي عُقد في براغ "مؤتمر الصوتيات"، كما لم تقتصر حلقة براغ في عضويتها على اللسانيين المقيمين في براغ فقط، بل شملت غيرهم من دول أخرى، وكانوا يشاركون أصولها وأفكارها الأساسية.⁴ "أولاً/ منهج مدرسة براغ:

اعتمد رواد حلقة براغ على المقاربة السانكرونية بوصفها بُعدًا مركزيًا وضروريًا، ومردّد هذا الاختيار معارضتهم الواضحة لمدرسة النحاة الجدد الذين يؤمنون فقط بالمقاربة التاريخية، وبذلك تميّز منهج الحلقة بدراسة نظام اللغة الكلي، بمستوياته المختلفة: الصوتية، والصرفية،

¹ - تروبتسكوي عالم لساني روسي ولد سنة 1890 بموسكو وتوفي سنة 1938 بفيينا وهو من عائلة عريقة تنتمي إلى أمراء روسيا، تولى والده منصب عميد جامعة موسكو، انكب على الدراسات اللغوية منذ أن كان في الخامسة عشرة من عمره. وكان طالبا في قسم اللغة الهندو أوروبية في الجامعة التي كان يديرها والده، وأصبح سنة 1916 عضوا في التدريس فر إلى إقليم "روستوف" على نهر الدون - بعد قيام الثورة - أين حصل على منصب في الجامعة الإقليمية، وبعدها درس فقه اللغة السلافية، وأصبح عضوا في "مدرسة براغ".

² - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003، ص 85.

³ - حسني خالد، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، منشورات أنفو برانت، فاس، المغرب، دط، ص 37.

⁴ - محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2004، ص 207.



والنحوية، والدلالية، دراسة وظيفية محضة؛ أي تلك العناصر اللغوية التي تحمل شحنة إخبارية، أمّا التي لا يمكن أن نعتبرها ذات شحنة إخبارية فلا يعتدّ بها اللغوي¹. وهو مبدأ وسمّة فارقة مقارنة بالمدارس الأخرى المعاصرة لها².

1- أطروحات المدرسة ومبادئها:

• تتصور هذه المدرسة اللغة باعتبارها نظاماً وظيفياً من العلامات يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل، إذًا فهم تجاوزوا مقولة دي سوسير المشهورة بأن اللغة نظام من العلامات³، إلى قولهم بأن "اللغة نظام من الوظائف، وكل وظيفة نظام من العلامات³.

• استفاد تروبتسكوي من ثنائيات دي سوسير (اللغة/ الكلام) و(الدال/ المدلول) و(الآنية/ التعااقبية) لدراسة الأصوات من منظور جديد، وبناء على هذا تناول البراغيون اللغة من جانبها الصوتي مميزين بين جانبيين في الصوت⁴.

أ - جانب كونه ظاهرةً فيزيائية سمعية.

ب - وجانب كونه عضوًا في نسق المنظومة.

• اعتمدت هذه المدرسة بالإضافة إلى المنهج الوصفي على المنهج المقارن في البحث اللساني، لكن الجديد في هذا المنهج أنها اعتمدته في الدراستين الدياكرونية والسانكرونية معا.

وقد نشرت الحلقة أفكار علمائها تحت عنوان أعمال حلقة براغ، وهي تنماز فضلا عما سبق بعناية خاصة بالدراسات الفونولوجية، وهذا لا ينفي عنها بعض المساهمات في علمي اللغة والأسلوب، كما يحسب لها عنايتها بالجوانب الجمالية والأدبية في الاستعمال اللغوي. من الأفكار التي عرضها ماتيسوس ما يتعلق بالتفسير الوظيفي للمسند *rheme*.

¹ - حسني خالد، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، ص 37.

² - جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997، ص 105. ص 37.

³ - ينظر: رشيد الاركو، من نظريات لسانيات براغ: وظائف اللغة والتلفظ المزدوج، شبكة الألوكة، على الرابط: https://www.alukah.net/literature_language/0/124032، بتاريخ: 2017-12-26.

⁴ - حسني خالد، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، منشورات أنفو برانت، فاس، المغرب، دط، دت، ص 38.



والمسند إليه theme، في إطار المنظور الوظيفي للجملة، فإن المسند إليه يشير إلى شيء عرف مسبقا لدى السامع/ المستقبل، بينما ينص المسند على حقيقة جديدة¹.
ومن أهم مبادئ مدرسة براغ نذكر:

- 1- اللغة نظام يتكون من وسائل تعبيرية تؤدي وظيفتها في ترسيخ الفهم المتبادل، ودور اللساني العمل على دراسة الوظيفة الفعلية لأحداث اللغة الفعلية.
- 2- اللغة حقيقة واقعية (أي أنها ظاهرة فيزيائية فعلية) ونمطها محكوم بعوامل خارجية اجتماعية (غير لغوية)، والمتلقي الذي يتوجه إليه الخطاب - والموضوع الذي يشمل التواصل، وهكذا يكون التمييز - في النظرية والتطبيق كليهما - بين لغة الثقافة ولغة الأعمال الأدبية وبين لغة الشارع ولغة المكتب... إلخ².

3- تشتمل اللغة على نوعين من تجليات الشخصية الإنسانية: التجلي الذهني، والتجلي العاطفي، ولذلك على الباحث اللساني أن يحيط بالعلاقة القائمة بين أشكال اللغة التي يتم بها توصيل الأفكار والعواطف على التعاقب، وقد كان لهذه الفكرة الفضل في فتح مسارات جديدة في بحث الأساليب المختلفة، وخاصة في فحص لغة الشعر، ثم دخلت في مجال البحث في الدرس اللساني ظواهر مختلفة تقع في لغة الحديث كالتنغيم والإشارات الجسمية...³

4- اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة لا تتطابقان، ولكل منهما خصائصها المميزة، وعليه فلا بد من فحص العلاقة بين لغة الكتابة ولغة النطق.

5- ينبغي أن يحظى البحث الآتي بالأهمية الأولى عند اللسانيين، إذ أن لهذا البحث تأثيرا على الواقع اللغوي الفعلي، ولكن هذا لا يعني أن تاريخ اللغة ينبغي استبعاده من مجال العلوم اللسانية.

6- البحث الفونولوجي عليه أن يعنى بتحديد أنماط التقابلات الفونيمية في اللغات المعنية ولا ينبغي فصل الظاهرة الفونولوجية عن الظاهرة المورفولوجية؛ لأن دراسة الفونيم قد تطورت في الدراسة المورفولوجية إلى فرع خاص عرف باسم: علم المورفولوجيا، ولا تقتصر نتائج هذه

¹ جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص 106.

² ميلكا افتيش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة. د.ط، د.ت، ص 379.



الدراسة على النظرية اللسانية فحسب بل تتجاوزها إلى الحل العلمي لمشكلات نحوية محددة، وقد فتح برنامج العمل الذي اقترحته مدرسة براغ أفقا أمام تطبيق توجيهات لسانية جديدة في دراسة مادة اللغات السلافية.

7- تؤدي التقابلات الثنائية دورا جوهريا وتتجلى في سلسلة من التكوينات المتوازية مشروطة بمعايير فونولوجية واحدة، ويفسر- تحديد هذه المعايير النظام الصوتي موضوع الفحص ويلاحظ أن أحد طرفي التقابل يؤدي وظيفة الطرف الموسوم ويدخل في تمييز بالضد مع طرف غير موسوم مثال على ذلك الصوتان العربيتان (ت) و(ط) فهما يشتركان في جميع الصفات ما عدا صفة واحدة تميز (ط) عن (ت) وهي صفة الإطباق التي توجد في الطاء ولا توجد في التاء، فهي صوت غير موسوم.

ثانيا- التحليل الفونولوجي في مدرسة براغ:

يعد التحليل الذي ارتضته مدرسة براغ - والذي ظهر على يد نيكولاي تروبتسكوي - أول تعميق منهجي لنظرية دي سوسور في الأنظمة اللسانية والتي كانت مصدر إلهام لتروبتسكوي، فقد شكل بوجي منها أفكاره الفونولوجيا، فاللغة ذات وظيفة اجتماعية وهي نظام، والوحدات الصوتية تقوم بدور الوحدات اللغوية التي يتم من خلالها إنجاز عملية التواصل. غير أن موقف تروبتسكوي النظري لم يتحدد بشكل حاسم إلا من خلال النشاط الذي مارسه في حلقة براغ، ففي كثير من المناقشات المثيرة التي خاضها مع اللسانيين من جيل يتمتع بموهبة خارقة بلغ أول تصور من تصورات النظرية اللسانية الحديثة طور النضج، وقد جاز هذا الأخير أن يكون مؤسس الفونولوجيا.

وقد قاده إمامه الواسع بلغات متنوعة إلى استنباط ملاحظته المهمة الأولى على النظم الصوتية وقد وصف منهجه في تحليل الأصوات اللغوية بأنه علم جديد أطلق عليه اسم "الفونولوجيا"، وهو علم يختلف عما يعرف بعلم الأصوات العام، الذي يعني البحث الفيزيائي الفيزيولوجي للجانب المادي لأصوات اللغة، وبهذا المعنى فهو أحد العلوم الطبيعية، أما الفونولوجيا فعلم يدرس الأصوات اللغوية من جانبها الوظيفي في بنية اللغة، إذ ينطلق من المعطيات العينية لكي يعمد إلى تحليلها وتجريدها بقصد العثور على البنية الأولية البسيطة، أي وصف الوحدات الصوتية التي تؤلف المستوى الدال في اللغة، حيث يقوم بإجراء تصنيف وتنظيم وترتيب تدرجي لما في اللغة الواحدة من وقائع صوتية متميزة، وهدفه هو الكشف





عن نسق العلاقات التي تنطوي على وظيفة داخل التنظيم اللساني لأي دال.

ثالثاً- أسس التحليل الفونولوجي:

- 1- الفونيم: هو أصغر وحدة فونولوجية، وهو علامة لسانية مهمتها حمل معنى للكلمة
- 2- ينبغي التمييز بين الوحدة اللسانية غير المتغيرة (الفونيم) وتحقيقاتها الصوتية الفعلية والمتنوعة وتحقيق هذه العلاقة يكون كالتالي:
 - أ- إذا استحال على صوتين في لغة واحدة أن يتبادلا الموقع في سياق صوتي مطابق دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير في معنى الكلمة مثل: (قال، صال، جال...) فإنهما يكتسبان وضع الوجدتين المختلفتين.
 - ب- أما إذا وقع صوتان في مواقع صوتية واحدة دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير معنى الكلمة فإنها لا يشكلان فونيمين مختلفين، وإنما تنوعات عرضية لفونيم واحد. تعرف باسم التنوعات الصوتية مثل: قال، جال في لهجتنا .
- 3- الفونيمات التي تنتمي إلى لغة واحدة تقع في تضاد متبادل فيما بينها (نظرية المتضادات الفونيمية) ويتم التعبير عن هذه التقابلات بواسطة عناصر الحركات والصوامت والإيقاع. ومما سبق فإن مدرسة براغ قد حددت مكانة الرمز الصوتي عن طريق التقابل الدلالي/ الفونولوجي مع الرموز الصوتية الأخرى.